

هل حاولت؟ هل فشلت؟ لا يهم.
حاول مجدداً، وافشل مجدداً، لكن افشل بصورة أفضل.

- صمويل بيكيت، من كتاب «ورستوارد هو»، ١٩٨٣

يتمحور أول معرض فردي للفنان فرنسيس أليس في لبنان وفي المنطقة كلها، حول فيلم رسوم متحركة جديد يبقى في صميم المكان.

نرى في Exodus 3:14 (الهجرة ٣:١٤) امرأة تربط بشكل متكرر عقدة بسيطة في شعرها الطويل، لا تتوقف عن الفك. وهذا الحدث الصغير يتكرر في الأعمال الأخرى، القديمة أو الحديثة، التي قام أليس بجمعها، بحيث أن كل عمل يكشف بطريقة مختلفة مناطق الاضطراب، من الحركة في الصميم إلى آثار الانتشار، التي تتراوح من الأصغر إلى الأكثر ضخامة.

يتناول Knots'n Dust (عقد وغبار) مفهوم الاضطراب، من عدم الاستقرار إلى الفوضى الشاملة، ومن الظواهر الجوية إلى التظاهرات الجيوسياسية، وحتى من عقدة بسيطة في الشعر إلى دوامة متصاعدة. وترمز العقدات إلى الروابط والعلاقات، بالإضافة إلى القوة والربط. وبالرغم من أن العقدة أصغر وحدة في صنع الأقمشة، لا تزال عنصراً لا غنى عنه: فهي مساحة متواصلة يمكنها أن تضيف بعض الغموض والدعم لعرض وتسجيل واختباء ورسم وبناء ما.

يقع هذا المعرض في بلد محاط بأعمال القمع وبصراعات لا تنتهي، في بلد يسكن فيه ملايين اللاجئين. لكن بين آثار جروح وتناسي الحروب التي عاشها البلد، وبين ذكريات عصر ذهبي قديم والعملية الدائمة ل(إعادة) بناء عاصمة تتزايد عولمتها، يبدو أن بيروت تفتتح مساحة داخل عين الإعصار، مع صورة مجمدة للتاريخ ستبقى أحادية اللون. بإمكانكم اعتبار هذه المساحة كمكان للحرية أو للعزلة. ويمكنكم البناء عليها أو الغرق فيها، لكنها ليست متماثلة بالنسبة للجميع ولن تدوم للأبد.

وكما هو الحال في العديد من أعمال أليس، كل تأكيد يسير جنب نقيضه، وأيّ حركة تُرافق سبب إبطالها الخاص بها. «أتشعر بالثك؟ شكّ مجدداً، وشكّ بشكل أفضل». هذه الخطوة الشعرية تدعو المشاهد للانخراط في قضايا أكبر عبر تفاصيل تبدو تافهة بصورة مضللة.

فضلاً عن إقامة Exodus 3:14 (الهجرة ٣:١٤) حيث مواد الفيلم تحيط حرفياً بالعمل نفسه، قام أليس بجمع لوحات ورسومات وتخطيطات وبطاقات بريدية وكتب عمل وملاحظات. إن هذا المعرض يركّز على أولوية عميلة الصنع وبيداتها، بالإضافة إلى ارتداداتها وآثارها أو نتيجتها، وهذا يظهر مسار وانعطافات الأفكار، بحيث أن كل عنصر يبني روابط بين أعمال تبدو متفاوتة. وتجدر الإشارة إلى أن عمل أليس يتميّز بأجزاء تستعير من بعضها البعض، وأحياناً تتبادل مكانتها. فتصبح الدراسات والتخطيطات لوحات، وبعض اللوحات تكون نماذج يمكنها أن تتكاثر. ونرى ستة لوحات صغيرة معروضة، تربط الأعاصير بالشعر، في حين أنها متصلة بحركة الرسم.

وفي آخر المعرض تجدون أرشيفاً كاملاً عن كل أفلام الفنان. وهذه أيضاً وسيلة لإحضار ممارسة مهمة له إلى المعرض: وهي الأداء. فمعظم هذه الأفلام هي عبارة عن تسجيلات لرحلات أو نزعات التي تصبح مظاهرات واضطرابات منفصلة للأماكن والنظام العام. وهذه المجموعة التي قام الفنان بنشرها طوعاً على موقعه الإلكتروني، تمثل بياناً سياسياً وشعرياً في آن واحد. وبالتالي، إن الأفعال البسيطة مثل المرور أو اللعب، تصبح طريقة لتفسير المساحة، أي المكان والعالم الذي نعيش فيه، وذلك لتحويل معنى معين أو تغييره وحتى تخريبه. فتواضعها هي بمثابة قوة، مثلما يكون أحياناً عدم القيام بأمر ما هو القيام بأمر ما، والقيام بأمر ما هو عدم القيام بأمر ما.

وفي (Dad) L'imprévoyance de la nostalgie، (قصر نظر الحنين (أبي))، عام ١٩٩٩، تصبح العقدة شيئاً يشبه القفل، كأنها تمنع المغادرة بدون التمسك بأي شيء، مثل أنّهم. ويبدو أن هذا العمل يتعارض مع نزعات أليس واكتشافاته، فهو يظهر عدم تحرك. وعلى غرار العلاقة غير المتوقعة بين الشعر والأعاصير، تُنتج أعمال أليس روابط بصرية بين الجسد وحالته البيئية. غير أن هذا العمل، من خلال عنوانه، يرتبط بالنسيان والخسارة.

Tornado (الإعصار) ، هي فيديو مدته 33 دقيقة، ويطارد فيه الفنان «شياطين الغبار» محاولاً الوصول إلى عينها مع آلة تصوير في يده. ثم يصوّر فرانسيس أليس قلبها الهادئ، وهو قلب أحادي اللون مليئاً بالغبار، يحجبه فعلياً عن العالم الخارجي. وباعتباره صدى محلياً لهذه المجموعة، يتضمن المعرض صوراً التقطتها أليس في شوارع بيروت عام 2015، خلال عاصفة رملية.

هل كان هذا الغبار الأصفر يسافر مع الرياح الآتية من التربة غير المزروعة في البلدين المجاورين، العراق وسوريا، حيث كانت تحتل الحروب معظم القطاع الزراعي؟ في العديد من هذه المناطق لم تعد الجذور والنباتات تثبت التربة التي أصبحت متطايرة بعد سنوات من الصراعات. فتسير الصحراء وتطير بعيداً، والوضع السياسي يستجذب مشهد المهاجر من بلد مقفر إلى عاصمة حديثة تتلقى حجاباً من الوحل الجاف.

أمّا المجموعة الجديدة من البطاقات البريدية، فهي تتضمن جملاً كتبها أليس بإصبعه على الزجاج الأمامي لسيارات مغطاة بالغبار. وهذه الجمل هي مجدداً دوامات صغيرة، لكنّها معاكسة لكي تناقض، وهي في الوقت نفسه تقدّم وسيلة لفهم السخافات التي قد تولّدها الحياة، ولتحرير أنفسنا من بعض العقلائية التي تمنعنا من النجاح.

يُصوّر فيلم الرسوم المتحركة الجديد Exodus 3:14 (الهجرة ٣:١٤)، امرأة تقوم بحركة بسيطة وجميلة التي ستحولها حلقة التكرار إلى مهمة مستعصية. ومع هذه العقدة، تفتح دوامة: فيفكّ الشّعر نفسه بشكل لا متناهي وكأنّ هذه الحركة ترمز إلى الفرق بالذات وتبدو فيها المرأة حاضرة وغائبة في الوقت نفسه. يُعرض هذا الفيلم على آلاف الرسومات التي كانت ضرورية خلال أشهر أو سنوات، لإنتاج دقائق يتم فيها تحريك صور ثنائية البعد، مما يبيّن موضوعاً متكرراً في عمل الفنان، وهو التفاوت الهائل بين الجهد والنتيجة، وبين العمل والعمالة. بالإضافة إلى ذلك، يقوم عمل Exodus 3:14 (الهجرة ٣:١٤) بتنشيط لعبة أعمال معاكسة: الربط والفكّ، الترتيب والتعطيل، القيام بالشيء وإلغائه، الرسم والمحو. والجدير بالذكر أنّ الأمر الوحيد الذي لا تستطيع الآلة القيام به هو تفكيك العقدات، فهي تتطلب عمل أيدينا ونُجسّده.

أمّا عمل Knots (walks)، (عقد (النزهات))، الذي أنجز في المكسيك عام 2006، فهو يحتل وسط مركز بيروت للفنون ويُصدر رموزه الخاصة لتسجيل حوادث نزهة: ردود الفعل الصغيرة، الحركات والحوادث التي يتعرض إليها المنتزه. تمّ كتابة هذه الملاحظات مع عقدات مختلفة ومشفوعة بترجمتها على ورقة، رابطة بالتالي العقدات بأفعال ومواقف. ونتيجة ذلك هي نوع من الذاكرة التي، بعد تعلم الرمز، يمكن قراءتها بعينين مغمضتين من خلال لمس الحبل بأصابعنا، كما نتحكم بمسبحة أو بكيو حضارة الأثكا. لكنّ الأمر يظهر أيضاً كيف يضع أليس قاسماً مشتركاً بين أفعاله والأبحاث عن مفردات النحة.

أعمال Camguns تتألف من آلة تصوير وأسلحة، وتمثل منحوتات تتولى الحراسة. إنّها النسخة البصرية التي ترمز إلى التصويب والتصوير. ف Camguns تستظهر أموراً خارقة، وكأنّها طيوراً غريبة في عالم التمثيل وإثارة ألعاب الأدوار المميّنة.